

مبارك، هل فكر بغير الأمن؟

لحسن الحظ، إذاً، نجا الرئيس حسني مبارك من محاولة اغتيال جديدة. نقول لحسن الحظ لان لا يمكن تمنّي الموت لاحد، ولأن مصر والعالم العربي بأسره في غنى عن الخصة التي كانت ستثيرها عملية الاغتيال لو كتب لها ان تنجح. لكننا نقولها ايضا لان مثل هذه المحاولة جديدة بان تحدث صحوة عند العديد من المصريين، وفي طبيعتهم السني الاول بالامر، اي مبارك نفسه. فهل يتعظ؟

لا ندري بالطبع ماذا جال في فكر الرئيس المصري في طريق عودته الى القاهرة بعد الاعتداء على الارجح فكر وفق ما فُطِر عليه، اي فكر بالمقاييس العسكرية والامنية. ولعله انهمك في الاجراءات الواجب اتخاذها في مثل هذه الحال، فلم يذهب ابعد من ذلك. ولكن... ولكن لا بد ان يكون قد شرد فكره في لحظة من اللحظات، فتنبه الى المفارقة الكبيرة التي يعيشها رئيس جمهورية مصر، بعدما دفع سلفه ثمن تغذية هذه المفارقة، من حياته.

ومفارقة مبارك انه موضع تكفير عصبية من المتزمتين المسلحين فيما هو كرئيس للجمهورية يعتبر الراعي الاول لمؤسسة نجح جمع آخر من المتزمتين، وإن لم يكونوا مسلحين، في جعلها اداة تكفير. في الحقيقة، يصعب اختصار وضع مصر بأفضل من هذا التزامن بين القضيتين: قضية الاعتداء المسلح على شخص الرئيس وقضية الاعتداء المقونن على فكر، ومن ثم على شخص استاذ جامعي مجتهد. لكن التزامن ليس تشبيهاً. فبين حسني مبارك ونصر حامد ابو زيد فرق كبير، لذلك ان الاخير يدفع ثمن مقاومته الفكرية بينما كان الاول سباقاً في تسليم فكره، اذا جاز التعبير، الى من يريد الآن النيل من سلطته.

لا نعرف اذا كان الرئيس المصري اتتبه الى هذه المفارقة. غير انه بالتأكيد في عداد مستشاريه من هو قادر على لفت انتباهه، ومن ثم دفعه الى الخلاصة المنطقية الوحيدة، وهي ان الاجراءات الامنية، مهما تكن محكمة لا تجدي نفعاً وحدها. فالمعركة ليست بين الشرطة او الجيش ومجموعة صغيرة من الارهابيين، المعركة بين سلطة ومشروع سلطة، كما يتضح من حجم التحضيرات التي كان يعد لها مندرو محاولة اغتيال الرئيس. عندما تبلغ مقاومة سلطة ما حد التخطيط لانقلاب شبه منظم، لا يعود مقبولاً للتحدث فقط عن الارهاب والارهابيين. ولا يجوز فصل الاقلية المخططة عن البيئة التي تتغذى منها. ويصبح لزاماً تغيير نهج المواجهة، من خلال توسيعها الى ما تعجز عنه اي دائرة امنية.

وغني عن القول ان مثل هذه المواجهة لا تستقيم الا اذا اتسعت الى المجال الفكري والمجتمعي. وهذا لا يمكن ان يحصل في هذه اللحظة بالذات الا بالتراجع عن التخاذل السابق للدولة في القضايا الفكرية، وآخرها قضية نصر حامد ابو زيد. أكثر من ذلك، يمكن الجزم ان السلطة المصرية لن تنجح في معركتها الا اذا عادت واحتضنت نصر حامد ابو زيد وامثاله. فهل تتعظ؟

سمير قصير